مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
الجزء الثاني
أيلول / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.24

سورة الماعون
قراءة لغوية بيانية

د. محمد فاضل صالح السامرائي
أستاذ ساعد / جامعة دجلة
altohamazi@gmail.com

مستخلص:

موضوع هذا البحث (سورة الماعون ـ قراءة لغوية بيانية) ، إذ إن سورة الماعون من السور القصيرة في القرآن الكريم ، وعلى الرغم من قصرها فإن فيها من اللمسات البيانية والفرائد اللغوية ما يبهر أرباب الفصاحة والبيان، وفيها يتجلى القصد في التعبير القرآني، إذ إن لهذه السورة تناسبًا مع السورة التي تسبقها والسورة التي تليها. ثم إن كل تعبير جاء في المكان الذي يقتضيه سياق النص، وأن أي تعبير آخر لا يمكن أن يحل محل تعبير السورة فيعطي المعنى نفسه.

الكلمات المفتاحية: سورة الماعون ـ التناسب ـ الدين ـ ساهون .

Surat Al-Ma’un - Linguistic and Rhetorical Reading

Dr. Mohammed Fadhel Saleh Al-Samarrai
Assistant Professor
Dijlah University
E. mail: altohamazi@gmail.com

Abstract :

The subject of this research is (Surat Al-Ma’un - A Linguistic and Rhetorical Reading), as Surat Al-Ma’un is one of the short surahs in the Holy Quran, and despite its brevity, it contains rhetorical touches and linguistic gems that amaze masters of eloquence and clarity, and in it the intention in the Quranic expression is revealed, as this surah has a correlation with the surah that precedes it and the surah that follows it. Moreover, every expression came in the place required by the context of the text, and no other expression can replace the expression of the surah and give the same meaning.

Key words: Surat Al-Ma’un, proportionality, the religion, obliviouses.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا خلاف بين أهل العلم أن التعبير القرآني تعبير فريد ، وأنه بهر أرباب البيان من العرب، حتى قال أحد صناديد قريش واصفًا القرآن الكريم: ((والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه)).

وقد تحداهم أولاً بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: 13]، فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله ، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة: 23] وهذا التحدي يشمل طوال السور وقصارها .

وقد تحدى جميع الخلق إنسهم وجنهم بأن يأتوا بمثله، قال تعالى:﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: 88]

إن أحدنا ليقرأ في صلاته سورًا قصيرة من القرآن الكريم كسورة الإخلاص أو المعوذتين أو المسد أو العصر أو النصر، وقد يفهمها على وجه الإجمال، ولكن قد لا يدرك عظم البيان ووجه البراعة فيه، فقد لا يستطيع أن يقف على سر التركيب في الآيات القرآنية، والدقة في اختيار الألفاظ، ولا يتذوقه كما تذوقه أرباب الفصاحة والبيان من العرب الأوائل.

وقد اخترت في هذا البحث سورة قصيرة من القرآن وهي سورة الماعون، ودرستها دارسة لغوية بيانية، وبيّنت القصد في التعبير القرآني من خلالها، بمعنى أنني حاولت أن أثبت أن كل تعبير جاء في المكان الذي يقتضيه سياق النص، وأن أي تعبير آخر لا يمكن أن يحل محل تعبير السورة فيعطي المعنى نفسه .

والحمد لله أولاً وآخرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: 1 – 7] .

التناسب بين سورة الماعون وبين ما قبلها وما بعدها:

هناك أكثر من وجه للارتباط بين سورة الماعون والسورة التي قبلها وهي سورة قريش. أما الوجه الأول فهو فيما يخص الإطعام، إذ ذكر الإطعام في السورتين، ولكن بصورة الامتنان في سورة قريش، وبصورة الذم في سورة الماعون، فذكر في سورة قريش أنه سبحانه ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ ، في حين ذمّ في سورة الماعون من لم يحضّ على طعام المسكين.

وأما الوجه الآخر فهو فيما يخص العبادة، إذ ذكرت العبادة في السورتين أيضًا، فجاء الأمر بالعبادة في سورة قريش، والذمّ في الماعون لمن سها عنها، فإنه تعالى أمر قريشًا بالعبادة في سورة قريش فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾[قريش: 3]، وذمّ في سورة الماعون من سها عن صلاته فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1].

(1) ينظر أسرار ترتيب القرآن 168 ، والتناسب بين السور 196 ـ والتفسير المنير 819/ 15.

فصار التناسب بين الأمر بالعبادة والذمّ لمن سها عنها.

وهناك تناسب واضح بين سورة الماعون والسورة التي تليها وهي سورة الكوثر، إذ وصف الله تعالى في سورة الماعون المنافق بأربع خصال: البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون. وفي سورة الكوثر ذكر ما يقابل هذه الصفات.

وتوضيح ذلك أنه تعالى وصف المنافق بالبخل في سورة الماعون فقال: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ . وفي الكوثر ذكر ما يقابل ذلك وهو الإعطاء فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[الكوثر: 1]

وفي سورة الماعون وصف المنافق بالسهو عن الصلاة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وفي سورة الكوثر كان الأمر بالصلاة فقال: ﴿فَصَلِّ﴾.

وفي سورة الماعون كان الوصف بالرياء فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أي يعملون أعمال البر لا لله، وإنما يراؤون الناس عملهم ليثنوا عليهم. وفي الكوثر ذكر ما يقابل ذلك فقال: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا لرضا الناس.

وفي سورة الماعون قال: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ ، وفي الكوثر ذكر ما يقابل هذا المنع فقال: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وأراد به سبحانه التصدق بلحوم الأضاحي[1].

* * *

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾

معنى ﴿أَرَءَيْتَ﴾ : هل عرفت وعلمت؟ والمراد بالاستفهام في الآية تشويق السامع إلى تعرّف ما يُذكر بعده مع تضمنه معنى التعجب. جاء في (تفسير الرازي): ((واعلم أن هذا اللفظ وإن كان في صورة الاستفهام، لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب، كقولك: (أرأيت فلاناً ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه؟)))[2].

وجاء في (روح المعاني) أنه ((استفهام أريدَ به تشويق السامع إلى تعرّف المكذب . . . وفيه أيضًا تعجيب منه))[3].

وقد ذهب قسم من العلماء إلى أن الرؤية في الآية بصرية يتعدى فعلها إلى مفعول واحد. يقول أبو البركات بن الأنباري: ((و(يرى) الأظهر أنه من رؤية العين لا من رؤية القلب؛ لأنه إذا جُعل من رؤية العين لم يتعدّ إلا إلى مفعول واحد، وليس في الآية إلا مفعول واحد. وإذا جُعل من رؤية القلب افتقر إلى مفعولين، فيؤدي ذلك إلى حذف المفعول الثاني، والمفعول الثاني لا يجوز حذفه من هذا النحو؛ لأنه مما يتعدى إلى مفعولين، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما))[4].

وذهب القسم الآخر إلى أن ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى أخبرني، فتتعدى لمفعولين: أحدهما (الذي) والآخر محذوف تقديره: من هو[5].

والفعل بهذا المعنى منقول من الرؤية البصرية. جاء في (شرح الرضي على الكافية): ((ومعنى (أرأيت): أخبرْ، وهو منقول من (رأيت) بمعنى أبصرت أو عرفت، كأنه قيل: أأبصرته وشاهدت حاله العجيبة، أو أعرفتها؟ أخبرني عنها، فلا يستعمل إلا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء))[6].

---

(1) ينظر روح المعاني244/ 30.

(2) تفسير الرازي 111/ 32.

(3) روح المعاني241/ 30.

(4) البيان في غريب إعراب القرآن ـ أبو البركات بن الأنباري 538/ 2.

(5) ينظر البحر المحيط 517/ 8 ، وتفسير الكشاف 445/ 6.

(6) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ـ القسم الثاني ـ المجلد الثاني 999.

ولا أرى ما يمنع من أن يُحمل الفعل على كلا المعنيين، فقد يكون فعلاً بصريًّا وقد يكون فعلاً قلبيًّا. فإذا كانت الرؤية بصرية فالمعنى: هل أبصرته وشاهدته؟ وإذا كانت قلبية فالمعنى: هل علمت الذي يكذب بالدين من هو؟

وقد يكون الخطاب في ﴿أَرَءَيْتَ﴾ للرسول عليه الصلاة والسلام، أو لكل من يصلح له الخطاب[1].

وجاء فعل التكذيب مضعفًا فقال (يُكذِّب) بالتشديد للدلالة على المبالغة فيه والدوام عليه، فهو لا يكذب مرة أو مرتين وإنما هو مستمر في تكذيبه.

والدين في الآية لها أكثر من معنى، فقد يكون بمعنى الجزاء، وبذا فمعنى ﴿يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: يكذب بالجزاء. جاء في (الهداية إلى بلوغ النهاية): ((والدين عند أهل اللغة في هذا وشبهه بمعنى الجزاء، كما قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، أي يوم الجزاء، ومنه قولهم: (كما تدين تدان) أي كما تجزي تجازى))[2].

وقد يكون (الدين) بمعنى دين الإسلام، ومعنى (يكذّب بالدين): يكذّب بدين الإسلام. جاء في (تفسير الكشاف) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: 9]: ((وهو الجزاء أو دين الإسلام))[3].

وبذا جمعت كلمة (الدين) المعنيين: معنى الجزاء ومعنى دين الإسلام.

* * *

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾

للآيتين ارتباط بالآية الأولى ارتباط السبب بالمسبب، إذ إن سبب دعِّه اليتيم وعدم حضّه على طعام المسكين هو أنه يكذب بالدين. إذ لو كان مصدقًا به لأكرم اليتيم ولحرص على إطعام المسكين، إذ إن التصديق بهذا اليوم يتطلب فعل الطاعات وتجنب المعاصي والمنكرات. جاء في (التسهيل لعلوم التنزيل): ((والمعنى: انظر الذي يكذب بيوم الدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات))[4].

وجاء في (تفسير الرازي): ((والفاء في قوله: (فذلك) للسببية، أي لما كان كافرًا مكذبًا كان كفره سببًا لدعّ اليتيم))[5].

والدّعّ: هو الدفع الشديد والزجر العنيف. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: 13] أي يدفَعون إلى نار جهنم دفعًا عنيفًا. جاء في (تهذيب اللغة): ((قال الله جل وعز: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ قال المفسرون ـ وهو قول أهل اللغة ـ يُدَعّون: يُدفَعون إلى نار جهنم دفعًا عنيفًا. والدّعّ: الدفع))[6].

وجاء في (لسان العرب): ((دعّه يدعّه دعًّا: دفعه في جفوة. وقال ابن دريد: دعّه: دفعه دفعًا عنيفًا. وفي التنزيل ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي يعنف به عنفًا دفعًا وانتهارًا، وفيه ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ وبذلك فسره أبو عبيدة فقال:

(1) ينظر فتح القدير 486/ 5.
(2) الهداية إلى بلوغ النهاية 8460/ 12.
(3) تفسير الكشاف 331/ 6.
(4) التسهيل لعلوم التنزيل ـ ابن جزي الكلبي 1012.
(5) تفسير الرازي 112/ 32، وينظر البحر المحيط 518/ 8.
(6) تهذيب اللغة 92/ 1.

يُدفَعون دفعًا عنيفًا))[1].

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): ((الدال والعين أصل واحد منقاس مطرد، وهو يدل على حركة ودفع واضطراب. فالدّعّ: الدفع، يقال: دععته أدعّه دعًّا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾))[2].

وجرس اللفظة بما فيه من تشديد العين - وهو حرف حلقي - يوحي بالقسوة والغلظة والجفاء.

وقد قال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ باستعمال اسم الإشارة (ذلك) الذي للبعد، ولم يقل: (فهو الذي يدع اليتيم) ((للإشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد))[3].

* * *

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾

ذكرنا أن هذا أثر من آثار تكذيبه بيوم الدين، إذ جعله هذا التكذيبُ لا يحض على طعام المسكين. جاء في (تفسير الكشاف): ((جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه علم أنه مكذب))[4].

وقد فسّر بعض العلماء الحضّ بالحثّ. جاء في (القاموس المحيط): ((حضّه عليه حَضًّا وحِضًّا وحِضيضى وحُضيضى: حثّه))[5].

وجاء في (التحرير والتنوير): ((والحضّ: الحثّ، وهو أن تطلب غيرك فعلاً بتأكيد))[6].

وهناك من فرّق بين الحضّ والحثّ، فذكر أن الحثّ يكون في السير، بخلاف الحضّ فإنه لا يكون بذلك. جاء في (المفردات في غريب القرآن): ((الحضّ: التحريض كالحثّ، إلا أن الحثّ يكون بسَوْق وسَير، والحضّ لا يكون بذلك))[7].

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): ((قال الخليل: الفرق بين الحضّ والحثّ أن الحثّ يكون في السير والسَّوق وكل شيء، والحضّ لا يكون في سَيْر ولا سَوْق))[8].

وقد نفى الفعل المضارع بـ(لا) فقال: (لا يحض) لإفادة الإطلاق، فهو لا يحض على طعام المسكين على وجه الاستمرار في الحال والاستقبال.

والفعل (يحضّ) فعل متعدٍّ ينصب مفعولاً، لكنه لم يذكر المفعول؛ لأن المقصود إطلاق الحضّ وتعميمه، إذ يشمل حضّ نفسه وغيره. جاء في (فتح القدير): ((أي لا يحضّ نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك بخلاً بالمال أو تكذيبًا بالجزاء))[9].

والسؤال ههنا: لِمَ قال: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولم يقل: (ولا يُطعم المسكين)؟

والجواب أنه إذا كان لا يحض على طعام المسكين كان تركه إطعام المسكين من باب أولى. فقد يُطعم الإنسان المسكين لكنه لا يحضّ الآخرين على القيام بذلك. أما إذا كان لا يحضّ على طعام المسكين فلا ينتظر منه أن يُطعمه. جاء في (البحر المحيط) أنه ((إذا لم يحضّ غيره بخلاً فلأن يترك هو ذلك فعلاً أَوْلى وأحرى))[10].

---

(1) لسان العرب 439/ 9 .
(2) معجم مقاييس اللغة 257/ 2.
(3) تفسير أبي السعود 580/ 5.
(4) تفسير الكشاف 440/ 6.
(5) القاموس المحيط 328/ 2.
(6) التحرير والتنوير 566/ 30.
(7) المفردات في غريب القرآن 129.
(8) معجم مقاييس اللغة 13/ 2.
(9) فتح القدير 673/ 5.
(10) البحر المحيط 518/ 8.

وجاء في (التحرير والتنوير): ((وكنّى بنفي الحضّ عن نفي الإطعام؛ لأن الذي يشحّ بالحضّ على الإطعام هو بالإطعام أشحّ))[1].

والسبب الآخر أنه ذكر أنه يمنع اليتيم حقه، وحينئذ لا ينتظر منه أن يُطعم المسكين من مال نفسه[2].

وقد جاء الطعام مضافًا إلى المسكين في الآية. وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن الطعام لم يرد مضافًا إلا إلى المسكين. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ [البقرة: 184]، وقوله: ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: 95]، وقوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة: 34]، وقوله: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[الفجر: 18]، هذا إضافة إلى آية الماعون.

وسبب ذلك أن المسكين ((هو الذي لا شيء له، وهو أبلغ من الفقير))[3]. فإضافة الطعام إليه في آية الماعون وفي باقي الآيات فيه دلالة على أن ((الطعام حق المسكين، فكأنه منع المسكين مما هو حقه))[4]. جاء في (روح المعاني) أنه قال: (طعام المسكين) ((للإشعار بأن المسكين كأنه مالك لما يُعطى له، كما في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: 19] فهو بيان لشدة الاستحقاق))[5].

ولم يرد فعل الحضّ في القرآن الكريم إلا مع طعام المسكين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[الحاقة: 34 ، الماعون: 3]، وقال:﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ وذلك لإفهام معنى الحثّ على إطعام المسكين.

وقد ورد فعل الحضّ في القرآن في سياق عدم الإيمان بالله، وخطأ الإنسان في تصوره واعتقاده، والتكذيب بالدين. فما جاء في سياق عدم الإيمان بالله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[الحاقة: 33، 34]، وما جاء في سياق خطأ الإنسان في تصوره واعتقاده قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الفجر: 15 ، 18] ، وما جاء في سياق التكذيب بالدين قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾.

وقد جاءت الأفعال (يكذّب، يدعّ، يحضّ) بصيغة المضارع للدلالة على تكرار الفعل واستمراره[6].

* * *

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾

الويل: هو العذاب الشديد أو الدعاء به. وهو مرفوع على الابتداء ويفيد الثبوت، فإذا كان دعاءً فهو دعاء بعذاب دائم لا ينقطع، وإذا كان إخبارًا فهو إخبار به.

وقد لزمهم الويل على جهة الثبوت؛ لأنهم اتصفوا بصفة السهو عن الصلاة على جهة الثبوت. وتوضيح ذلك أنه قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ وهذا يعني أن السهو صفة ثابتة فيهم بدليل قوله: (ساهون) بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت. ولم يقل: (يسهون)

(1) التحرير والتنوير 566/ 30.
(2) ينظر تفسير الرازي 113/ 32.
(3) المفردات في غريب القرآن 243.
(4) تفسير الرازي 303/ 32.
(5) روح المعاني 242/ 30.
(6) ينظر التحرير والتنوير 565/ 30.

بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والطروء، ولذا استحقوا العذاب الدائم.

ووردت (ويل) في الآية نكرة، والغرض من التنكير التهويل، والمعنى أن لهؤلاء الساهين عن الصلاة عذابًا شديدًا لا يعلم شدته إلا الله تعالى.

وقد قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ ولم يقل: (فويل لهم) ، أي أنه وضع الصفة موضع الضمير؛ لأنه مع التكذيب بالدين ودعّ اليتيم وعدم الحضّ على طعام المسكين لهم أعمال قبيحة أخرى وهي السهو والغفلة عن الصلاة والمراءاة ومنع الخير[1].

ووصفهم بالمصلين فيه ((تهكم، والمراد عدمه، أي الذين لا يصلون . . . وقرينة التهكم وصفهم بـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾))[2].

والسؤال ههنا: ما علاقة قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ بما سبق؟

والجواب أنه ((إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ، فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين، والرياء الذي هو شعبة من الكفر، ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام أحق بذلك، ولذلك رتّب عليها الويل))[3].

* * *

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾

معنى السهو: الغفلة. جاء في (المصباح المنير): ((سها عن الشيء يسهو سَهْوًا: غفل))[4]. وجاء في (المفردات في غريب القرآن): ((السهو: الخطأ عن الغفلة))[5].

وجاء في (المعجم الوسيط): ((سها عنه وفيه سَهْوًا وسُهُوًّا وسَهْوَةً: غفل عنه))[6].

ومعنى (عن صلاتهم ساهون) ((غافلون غير مبالين بها حتى تفوتهم بالكلية أو يخرج وقتها))[7].

ويرد سؤال ههنا: هل هناك فرق بين السهو والغفلة ؟

والجواب: أن السهو غفلة يسيرة بحيث يتنبّه الإنسان منها إذا نُبّه. جاء في (تاج العروس): ((أن السهو غفلة يسيرة عما هو في القوة الحافظة يتنبه بأدنى تنبيه))[8].

وجاء في (الكليات): ((السهو: غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبه بأدنى تنبيه))[9].

أما الغفلة فهي ((غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له))[10]. وقد تستغرق الغفلة العمر كله، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: 22].

ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ ارتبط بقوله: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ إذ إنه تغافل عن الصلاة وتكاسل عن أدائها لأنه يكذب بالدين.

كما أن للآية ارتباطًا بقوله: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ إذ لو كان مؤديًا صلاته على أتم وجه ما آذى اليتيم ولحضّ على طعام المسكين، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

---

(1) ينظر الدر المصون 122/ 11 ـ 123 ، وفتح القدير 487/ 5.
(2) التحرير والتنوير 567/ 30.
(3) تفسير البيضاوي 341/ 5.
(4) المصباح المنير 111.
(5) المفردات في غريب القرآن 251.
(6) المعجم الوسيط 459.
(7) روح المعاني 242/ 30.
(8) تاج العروس 339/ 38.
(9) الكليات ـ أبو البقاء الكفوي 506.
(10) المصباح المنير 171.

وهناك فرق بين (سها في الصلاة) و(سها عن الصلاة)، فمعنى (سها في الصلاة): نسي شيئًا منها، ومعنى (سها عن الصلاة): تركها ولم يصلِّ. جاء في (تفسير الكشاف): ((فإن قلت: أيّ فرق بين قوله: (عَن صلاتهم) وبين قولك: (في صلاتهم) ؟

قلت: معنى (عن) أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين.

ومعنى (في) أنّ السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم)) [1].

وقد قدم الجار والمجرور على عامله فقال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: (ساهون عن صلاتهم) وذلك لبيان أهمية الصلاة، فالسهو عن الصلاة أعظم إثمًا من السهو عن غيرها من العبادات. ولا يجوز أن نقول: إن تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ لأن المعنى حينئذ: ليسوا ساهين إلا عن صلاتهم، وليس هذا المعنى هو المقصود. هذا إضافة إلى ما تقتضيه الفاصلة من التقديم، إذ لو أخّر الجار والمجرور وقال: (ساهون عن صلاتهم) لاختلت الفاصلة القرآنية .

* * *

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ * وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾

المراءاة هي أن يُظهر الإنسان خلاف ما يُبطن. ووجه المفاعلة فيها أن ((المرائي يُري الناس عمله، وهم يُرونه الثناء عليه والإعجاب به)) [2].

ومقصود الآية أنهم ((يراؤون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراؤون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم)) [3].

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء: 142]

والملاحظ أنه حذف مفعول الفعل (يراؤون) من الآية، في حين ذكره في آية النساء فقال:﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: 142] فما سبب ذاك؟

والجواب أن هناك أكثر من سبب:

منها أن آية النساء في سياق الكلام على المنافقين خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء: 142].

أما آية الماعون فسياق الكلام فيها على عموم الذين يراؤون في أعمالهم ويمنعون الماعون.

فناسب الخصوص في آية النساء ذكر مفعول الفعل (يراؤون)، وناسب العموم في آية الماعون حذف المفعول منه.

ومنها أن آية النساء أطول من آية الماعون، فناسب طولَها ذكرُ المفعول به، وناسب قصرَ آية الماعون حذفُ المفعول منها.

ومنها أن الحذف جاء مراعيًا الفاصلة القرآنية، إذ إن فاصل الآيتين اللتين تكتنفان آية الماعون ينتهي بالنون التي قبلها واو المد وهما (ساهون ، الماعون).

فناسب كل ذلك حذف المفعول من آية الماعون وذكرها في آية النساء.

* * *

(1) تفسير الكشاف 440/ 6 ـ 441.

(2) تفسير الكشاف 443/ 6.

(3) فتح القدير 674/ 5.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾

(الماعون) له أكثر من معنى، فمن معانيه الشيء القليل. جاء في (البحر المحيط): ((الماعون: فاعول من المعن، وهو الشيء القليل. تقول العرب: (ما له معن): أي شيء قليل))[1]. وهذا يعني أنهم يمنعون الشيء ولو كان قليلاً.

ومن معانيه ((كل ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقداحة، وكل ما فيه منفعة من قليل أو كثير))[2]. ومنع هذه الأشياء البسيطة فيه دلالة على بخله وسوء خلُقه.

ومن معانيه الزكاة، والمعنى أنهم يمنعون زكاة أموالهم[3]. وهذا المعنى له ارتباط بالمعنى الأول، إذ سمى الزكاة ماعونًا لأنه يؤخذ من المال ربع العشر، وهي نسبة قليلة[4].

وقد ورد الفعل مضارعًا في قوله: (يراؤون ، يمنعون) للدلالة على تكرار الفعل.

ويرتبط قوله: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ بالآيات السابقة، فالذي يكذب بالدين لا يتورع من أن يمنع الماعون، والذي يدعّ اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين يهون عليه أن يمنع الماعون، والذي يسهو عن صلاته لا يرى حرجًا من أن يمنع الماعون، والذي يرائي الناس بعمله لا يرى بأسًا من أن يمنع الماعون.

وهكذا تبدو آيات السورة كأنها آية واحدة، فسبحان الله رب العالمين.

* * *

نتائج البحث:

1 ـ هناك تناسب بين سورة الماعون والسورة التي قبلها وهي سورة قريش، وبينها وبين السورة التي تليها وهي سورة الكوثر.

2 ـ هناك ترابط واضح بين الآيات في السورة، فقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ مرتبط بقوله: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾، ومرتبط بقوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾، كما أن الآية الأخيرة مرتبطة بجميع الآيات التي سبقتها، وتبدو آيات السورة كأنها آية واحدة.

3 ـ هناك فرق بين الحض والحثّ، والسهو والغفلة.

4 ـ لاختيار بعض الألفاظ في السورة أثر في بيان الدلالة، كاختيار الفعل (يدعّ) في التعبير عن الدفع الشديد والزجر العنيف، وجرس اللفظة بما فيه من تشديد العين ـ وهو حرف حلقي ـ يوحي بالقسوة والغلظة والجفاء.

ولله الحمد أولاً وآخرًا

المصادر

ـ أسرار ترتيب القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ دار الفضيلة ـ القاهرة .

ـ البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1413هـ ـ 1993م.

ـ البيان في غريب إعراب القرآن ـ أبو البركات بن الأنباري ـ تحقيق طه عبد الحميد طه ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1400هـ ـ 1980م.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي ـ مطبعة حكومة الكويت ـ الطبعة

(1) البحر المحيط 517/ 8 .

(2) البحر المحيط 517/ 8 ، وينظر القاموس المحيط 272/ 4 ، وتفسير الرازي 115/ 32.

(3) ينظر فتح القدير 674/ 5.

(4) ينظر تفسير الرازي 116/ 32.

الثانية 1407هـ - 1987م.
- التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور - الدار التونسية للنشر 1984م.
- التسهيل لعلوم التنزيل - ابن جزي الكلبي - المنتدى الإسلامي بالشارقة - 1433هـ - 2012م.
- تفسير أبي السعود - أبو السعود بن محمد العمادي - تحقيق عبد القادر أحمد عطا - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .
- تفسير البيضاوي - ناصر الدين البيضاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى 1401هـ - 1981م.
- تفسير الكشاف - جار الله الزمخشري - تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م.
- التفسير المنير - الدكتور وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - الطبعة العاشرة 1430هـ - 2009م.
- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم - الدكتور فاضل صالح السامرائي - دار ابن كثير - دمشق - الطبعة الرابعة 1445هـ - 2024م.
- تهذيب اللغة - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري - تحقيق علي حسن هلالي - الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون - السمين الحلبي - تحقيق أحمد محمد الخراط - دار القلم - دمشق.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين الآلوسي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب - رضي الدين الإستراباذي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية - تحقيق الدكتور يحيى بشير مصري والدكتور حسن بن محمد الحفظي - الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م .
- فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني - تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة - دار الوفاء.
- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروزابادي - المطبعة المصرية - الطبعة الثالثة 1352هـ - 1933م.
- الكليات - أبو البقاء الكفوي - تحقيق عدنان درويش - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية 1419هـ - 1998م.
- لسان العرب - ابن منظور - المطبعة الميرية ببولاق بمصر. الطبعة الأولى 1307هـ .
- المصباح المنير - أحمد بن محمد الفيومي - مكتبة لبنان - بيروت - 1987م.
- معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تحقيق عبد السلام هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1399هـ - 1979م.
- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الرابعة 1425هـ - 2004م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية - مكي بن أبي طالب القيسي - جامعة الشارقة - الطبعة الأولى 1429هـ - 2008م.